دور الأئمة الأربعة في نشر الدين والعلم والرد على من استنقصهم

سحمي عبد اللّه عبد الرحمن العجمي

مدرب في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي بالكويت

دور الأئمة الأربعة في نشر الدين والعلم والرد على من استنقصهم

سحمي عبدالله عبدالرحمن العجمي
مدرب في الهيئة العامة للتعليم التطبيقي بالكويت
البريد الإلكتروني : S2010h79@hotmail.com

الملخص :

بعث الله جلا وعلا محمد – صلى الله عليه وسلم – ليضيء نفوس البشرية جمعاء بنور الوحي، وبرفع سواد الجهل بمشكاة العلم، كيف لا؟ وأول سورة أنزلت سورة العلق فبدأت بقول {اقْرَأْ} فكانت نبراسًا لدين الله تعالى (الإسلام) فبدأ النبي صلى الله عليه وسلم بنشر تعاليم الإسلام ورفع الكفر والضلال عن طريق العلم الحوار وتحرير العقل من الزيف الدمار ثم تبعه بذلك أصحابه الأخيار فانتشروا في الأمصار ونشروا فيها العلم والخبار، وتتلمذ على أيديهم ثلة من الأئمة الأطهار من التابعين وتابعي التابعين كأمثال (سعيد بن المسيب) وابن شهاب الزهري، مجاهد بن جبر، وسليمان بن يسار والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، عطاء بن أبي رباح، عكرمة مولى ابن عباس، وعلقمة بن قيس النخعي، طاوس بن كيسان، وعمرو بن دينار، وكعب بن الأسود وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وعامر الشعبي، الليث بن سعد، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، يحيى بن معين، وإسحاق بن راهوية وغيرهم كثير..." ممن نشروا هدي النبي صلى الله عليه وسلم وعلمه وصانوا الشريعة بتدوينها وبسير مسائلها، والرد على أهل البدع والباطل ممن يشككون في شريعتنا المعصومة فوقفوا لهم كالطود الشامخ.

يعتمد الباحث في البحث على المنهج التعريفي التحليلي حيث يتعرف المتلقي على أئمته الكرام وأصول مذهبهم من مصادر الكتب التي تعني بهذا الفن وتخلل ظاهرة التطاول عليهم من بعض المنتسبين للعلم وكيفية الرد عليهم.

الكلمات المفتاحية : العلم ، العلماء ، نشر الفقه، الأئمة العلماء ، المدارس الفقهية.

The role of the four imams in spreading religion and science and responding to those who belittle them

Sahmi Abdullah Abdul Rahman Al-Ajmi
Trainer at the Public Authority for Applied Education in Kuwait
Email: S2010h79@hotmail.com

Abstract:
God Almighty sent Muhammad - may God's prayers and peace be upon him - to illuminate the souls of all mankind with the light of revelation, and to lift the darkness of ignorance with the niche of knowledge, how not? And the first surah to be revealed was Surat Al-Alaq, and it began with the saying "Read" and it was a beacon to the religion of God Almighty (Islam), so the Prophet, may God bless him and grant him peace, began to spread the teachings of Islam and remove infidelity and misguidance through knowledge through dialogue and liberation of the mind from falsehood and destruction. And the news, and a group of the pure imams from the followers and the followers of the followers, such as (Saeed bin Al-Musayyib), Ibn Shihab Al-Zuhri, Mujahid bin Jabr, Suleiman bin Yasar, Al-Hassan Al-Basri, Muhammad bin Sirin, Ata bin Abi Rabah, Ikrimah, Mawla bin Abbas, and Alqamah bin Qais studied at their hands. Al-Nakha'i, Tawus bin Kisan, Amr bin Dinar, Ka'b bin Al-Aswad, Sufyan bin Uyaynah, Sufyan Al-Thawri, Amer Al-Sha'bi, Al-Layth bin Saad, Abu Hanifa Al-Nu'man bin Thabit, Malik bin Anas, Muhammad bin Idris Al-Shafi'i, Ahmed bin Hanbal, Yahya bin Mu'in, And Ishaq bin Rahawiyeh and many others..." who spread the guidance and knowledge of the Prophet, may God bless him and grant him peace, preserved the Sharia by codifying it and facilitating its issues, and refuting the people of heresy and falsehood who doubt our infallible Sharia, so they stood for them like a towering hill.
In the research, the researcher relies on the analytical descriptive approach, where the recipient gets to know his honorable imams and the origins of their doctrine from the sources of books that deal with this art, and the phenomenon of insulting them by some of those affiliated with science and how to respond to them.

Keywords: Science, Scholars, Dissemination Of Jurisprudence, Imams Scholars, Schools Of Jurisprudence.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الغُر الميامين وعلى من تبعهم بإحسان من الأئمة المتبعين الذين نشروا سنة نبيهم الرحيم في كل أقطار العالم.

أما بعد:

فلا يخفى على كل ذي لب، ما كان عليه المجتمع العالمي أجمع من جهل وخرافات وعادات تلفظها الفطرة السليمة، وتعافها الأنفس المستقيمة، من عبادة الأوثان، وعبادة الطبيعة (كالشمس والقمر والنجوم والنار والشجر والحجر وغيرها).

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ ﴾ [فصلت:٣٧].

حيث قال: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، فعن معمر قال: أخبرني الأعمش، عن خيثمة قال: كان بين قول فرعون:﴿ ثم مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وبين ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] أربعون سنة[١]، وفيهم من كان يتخذ إلهه هواه أينما تقوده شهوته ينجرف إليها فقد قال الله جلا وعلا: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣] قال بعضهم في تفسير هذه الآية :"أفرأيت من اتخذ دينه هواه فلا يهوي شيئًا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله، ولا يحرم ما حرم الله، ولا يحل ما حلل، إنما دينه ما هويته نفسه يعمل به"[٢].

---

(١) تفسير عبد الرزاق، سورة النازعات، الجزء ٣ الصفحة ٣٨٩، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان بتحقيق محمود شاكر. الباب ٢٣ الجزء ٢٢، الصفحة ٧٥ طبقة (مؤسسة الرسالة).

ومنهم من كانوا لا يؤمنون بالله، وكانوا يسمون بالدهريين.

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤].

فبعث الله ـ جلا وعلا ـ محمدًا ﷺ ليضيء نفوس البشرية جمعاء بنور الوحي، ويرفع سواد الجهل بمشكاة العلم، كيف لا؟ وأول سورة أنزلت سورة العلق فبدأت بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ فكانت نبراسًا لدين الله تعالى (الإسلام)، فبدأ النبي ﷺ بنشر تعاليم الإسلام، ورفع الكفر والضلال عن طريق العلم الحوار، وتحرير العقل من الزيف والدمار ثم تبعه بذلك أصحابه الأخيار، فانتشروا في الأمصار ونشروا فيها العلم والخبار، وتتلمذ على أيديهم ثلة من الأئمة الأطهار من التابعين وتابعي التابعين كأمثال (سعيد بن المسيب) وابن شهاب الزهري، ومجاهد بن جبر، وسليمان بن يسار، والحسن البصري، ومحمد بن سيرين، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس، وعلقمة بن قيس النخعي، وطاوس بن كيسان، وعمرو بن دينار، وكعب بن الأسود، وسفيان بن عيينة، وسفيان الثوري، وعامر الشعبي، والليث بن سعد، وأبو حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وإسحاق بن راهوية وغيرهم كثير...)) ممن نشروا هدي النبي ﷺ وعلمه، وصانوا الشريعة بتدوينها وتيسير مسائلها، والرد على أهل البدع والباطل ممن يشككون في شريعتنا المعصومة، فوقفوا لهم كالطود الشامخ الراسخ الذي لا ينتهي، فها هو الإمام أبو حنيفة قد تصدى لبعض الزنادقة "يروى عن أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم: دعوني فإني مفكر في أمر قد أخبرت عنه: ذكروا لي سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر، وليس بها أحد يجمعها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها، وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث تساءلت بنفسها من غير أن يسوقها أحد فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل قال: ويحكم فكيف تكون هذه الموجودات بما فيها العالم العلوي والسفلي، وما اشتملت عليه من الأشياء المُحكمة ليس لها صانع، فبهت القوم بعد مناظرته،

ورجعوا إلى الحق بعد حجته، وأسلموا على يديه[١]، فكان العلماء السد المنيع لحماية الإسلام من الضلالات والبدع التي تقدح في نقاء العقيدة وصفاء الفطرة التي فطر الناس عليها، فالصراع بين الحق والباطل أزلي إلى قيام الساعة، وكما أن للباطل رجالًا وأعوانًا، فكذلك للحق صناديد وأبطال، فشمر علماء الأمة عن سواعدهم في تدوين العلم وحفظ السنة، ومن المتفق عليه بين أئمة علماء الحديث والمؤرخين أن مالكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أوائل من صنف الحديث النبوي في كتابه الشهير «الموطأ»[٢].

ثم تلاه العلماء في تدوين السنة والعلم الشرعي كالإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ فـ"أول كتاب صنفه الشافعي في مكة هو كتاب الرسالة، وكتب الشافعي هذه الرسالة مرتين الأولى بمكة والأخرى بمصر بعد التعديل، وضعه استجابة لطلب الإمام عبد الرحمن بن مهدي، واشتمل على شرح معاني القرآني وهو أشهر ما ألفه الشافعي[٣]، وكذلك " أصبح الشافعي واضع علم أصول الفقه بإجماع الذين ترجموا له، كما ذكر ابن العماد الحنبلي صاحب (شذرات الذهب) وابن خلدون وغيرهم[٤].

وتبعه في ذلك التدوين تلميذه الإمام أحمد بن حنبل، حيث ألف مسنده الشهير مسند الإمام أحمد، وذكر مروياته مرتبة على مسانيد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ "، ويعد مسند الإمام أحمد من أعلى المسانيد المنتقاة قال الذهبي: إنه محتوٍ على أكثر الحديث النبوي، وقل أن يثبت حديث إلا وهو فيه، وقل أن تجد فيه خبرًا ساقطًا، ولا يلزم من انتقائه صحة جميع مروياته[٥].

فضائل علماء السنة في حفظ الشريعة والذود عن حياض الدين كثيرة

(١) أجمل المناظرات والمحاورات، مكتبة السعيد، الطبعة الأولى، تأليف منصور بن ناصر العواجي، ص٢٠٤.

(٢) أشهر أعلام الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، الناشر شركة الريان، ص١٠٧.

(٣) المصدر السابق ص ١٥٦.

(٤) المصدر السابق ص١٥٧

(٥) المصدر السابق ص٢٠٠.

جدًّا لا تعد ولا تحصى، وقد حاولت في هذا البحث المتواضع أن أبين مكانة وأصول مذهب الأئمة الأربعة (أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن حنبل الشيباني) والرد على من استنقصهم، وقلل من قدرهم من جيل لا يعرف حق العلماء ولا فضلهم على هذه الأمة، ولولا الله ثم صبرهم وجلدهم في طلب هذا العلم لما وصل إلينا مصفى من الشوائب والقذا.

التمهيد

"بيان فضل العلم والعلماء والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة"

عندما بدأ بزوغ الإسلام، وأخذ ينتشر بين الأنام، ليسكر ظلمة الجهل والأوثان، ويحرر العقل من زيف الظلمة والأغلال، فأول ما نزل من القرآن ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَق * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَق * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَم * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَم * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَم ﴾ [سورة: العلق] [(١)].

لأن القراءة والمطالعة والتفكر هي بوابة العلم وتحرير العقل من الجهل والظلمة، فلا يستوي عند الله العالم والجاهل حيث قال الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، بل إن الله رفع العلماء درجات على ما عداهم من الناس حيث قال تعالى : ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وكان ابن مسعود يقول: أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم في العلم، فإن الله يرفع المؤمن العالم فوق من لا يعلم درجات[(٢)] وكما قال أمير الشعراء أحمد شوقي:

العلم يبني بيوتًا لا عماد لها والجهل يهدم بيت العز والشرف

ولقد وصف الرسول ﷺ العالم وصفًا دقيقًا وجميلًا، حيث قال: «**وإن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**»[(٣)].

فأي فضل بعد هذا الفضل للعلماء يكفيهم شرفًا بأنهم ورثة للأنبياء

---

(١) المدخل للفقه الإسلامي (تاريخه ومصادره ونظرياته العامة، ت/ محمد سلام مدكور، دار الكتاب الحديث.

(٢) زاد المسير في علم التفسير، الجزء الرابع، الصفحة ٢٤٨، الباب سورة المجادلة (٥٨): الآيات (١٢ – ١٣) ت/ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الفرسي الملقب بابن الجوزي.

(٣) سنن أبي داود باب الحث على طلب العمل، الجزء ٣، الصفحة ٣١٧ الناشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

والمصابيح المضيئة للأمة.

*** أسباب اختيار الموضوع:**

١. الرغبة في تعريف الأمة بعلمائها الأجلاء الذين بذلوا الغالي والنفيس للدفاع عن الدين حتى أوصلوه لنا صافيًا نقيًّا.
٢. التعريف بأصول مذهب كل منهم، وكيف يستقي فيه الأحكام الشرعية.
٣. الرد على أشباه المتعلمين الذين لا يعرفون مقام الجهابذة العظام ممن أفنوا حياتهم، وبذلوا أوقاتهم لنصرة الدين وإيصاله إلينا صحيحًا نقيًّا لا تشوبه شائبة.

*** أهمية الموضوع:**

تكمن أهمية هذا الموضوع في أن يعرف المتلقي سيرة العلماء الأئمة وما عانوه لأجل الحفاظ على دين أمتهم والحرص على وصوله إليهم صحيحًا (علمًا وفهمًا وتطبيقًا)، والرد على المتعالمين الذين لا يعرفون من الدين إلا شكله ولا من الكتاب إلا غلافه فيلوكون بألسنتهم الحداد قدر الأئمة الأمجاد وما ضرهم ذلك.

وتتلخص أهمية مناقشة هذا الموضوع في النقاط التالية:

١. إبراز سيرة الأئمة وما بذلوه للأمة.
٢. التعرف على أصول مذهبهم وكيفية استنباطهم للأدلة الشرعية.
٣. الرد على المتعالمين من أبناء جلدتنا الذين يريدون أن يحركوا الجبال من مواضعها، زعموا بجهلهم وحمقهم وادعائهم بأن هؤلاء رجال ونحن رجال، وما بين أصل هذه المقولة في البحث.

*** منهج البحث:**

يعتمد الباحث في البحث على المنهج التعريفي التحليلي حيث يتعرف المتلقي على أئمته الكرام وأصول مذهبهم من مصادر الكتب التي تعني بهذا الفن وتخلل ظاهرة التطاول عليهم من بعض المنتسبين للعلم وكيفية الرد عليهم.

الدراسات السابقة:

١- دراسة أسامة عبد الله إبراهيم الطيبي بعنوان (انفرادات البخاري الفقهية عن الأئمة الأربعة في السادات – من خلال الجامع الصحيح).

رسالة ماجستير سنة ٢٠١٥، كلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس فلسطين.

قامت هذه الدراسة بأداء الأئمة الأربعة الفقهية البحتة التي انفرد بها الإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري في كتابه «الجامع الصحيح»، ومرت الدراسة مرورًا سريعًا على بعض هذه الآراء الفقهية بينما رسالتي تتمركز حول التعريف بالأئمة العظام وأصول مذهبهم والرد على من انتقص منهم.

٢- دراسة بلال عبد الله الجبوري، بعنوان (ما اتفق عليه ثلاثة من الأئمة في كتاب رحمة الأمة في اختلاف الأئمة كتاب البيوع)، رسالة ماجستير نوقشت في جامعة تكريت، كلية العلوم الإسلامية، قسم الفقه وأصوله سنة ٢٠١٩ – ٢٠٢٠، ركزت هذه الرسالة على المسائل التي تخص المعاملات وخاصة باب البيع وتحقيق المسائل التي اتفق عليها ثلاثة من الأئمة وهي دراسة فقهية مقارنة، بينما دراستي تمركزت حول التعريف بالأئمة والتعريف بأصول مذهبهم والذود عنهم.

*** خطة البحث:**

اقتضت خطة البحث أن يكون من مقدمة والتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة وبينت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته.

التمهيد وفيه التعريف بفضل العلم والعلماء بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة.

المبحث الأول: وتناولت فيه التعريف بالأئمة الأربعة، وجاء في أربعة مطالب.

المطلب الأول: الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسمه ونشأته وحياته العلمية).

المطلب الثاني: الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسمه ونشأته وحياته العلمية).

المطلب الثالث: الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسمه ونشأته وحياته العلمية).

المطلب الرابع: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسمه ونشأته وحياته العلمية).

المبحث الثاني: وقد شمل التعريف بأصول مذهب الأئمة الأربعة، ويتكون من أربعة مطالب:

المطلب الأول: أصول مذهب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المطلب الثاني: أصول مذهب الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

المطلب الثالث: أصول مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المطلب الرابع: أصول مذهب الإمام أحمد بن محمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المبحث الثالث: الرد على المتطاولين من الصغار المتعالمين، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: قولهم: إن الاجتهاد توقف في القرن الرابع.

المطلب الثاني: مقولة (هم رجال ونحن رجال).

الخاتمة.

المبحث الأول
التعريف بالأئمة الأربعة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسمه ونشأته وحياته العلمية)

اسمه:

هو النعمان بن ثابت بن زوطي بضم الزاي وفتح الطاء الخزاز الكوفي .

نسبته:

نسبة الإمام أبي حنيفة الخزاز بفتح المعجمتين وتشديد الزاي، وإنما قيل ذلك لأنه كان يبيع الخز ، ويأكل منه طلبًا للحلال .

أما نسبته بالكوفي، فلأن موطنه الذي ولد وعاش فيه هو الكوفة، أما نسبته بالتيمي، فلأن جده زوطي مولى لبني تيم الله بن ثعلبة من بني ربيعة(١).

نشأته:

نشأ أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالكوفة، وعاش بها أكثر أيام عمره المبارك الذي امتد إلى السبعين عامًا، قضى منه اثنتين وخمسين سنة في العصر الأموي، وثماني عشرة سنة في العصر العباسي.

وقد كانت الكوفة في هذه الفترة والعراق عمومًا في أوجه الحضاري، قد أضاف إلى ما ورثه من المدنيات والحضارات القديمة: علوم المسلمين وآراءهم، وفلسفتهم، وحكمتهم، ومذاهبهم العقائدية والفكرية، ومنازعاتهم الفكرية مع بعضهم البعض، وغيرهم من أهل النحل الأخرى، ففي مسجد الكوفة كانت هناك حلقات للشعر والفقه والنحو، وحلقات للمتكلمين يتكلمون فيها في القضاء والقدر، والكفر والإيمان، ويستعرضون أعمال الصحابة في الحروب وغيرها،

(١) أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي، حاشية الطحطاوي على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، تحقيق ودراسة الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٧م، ١٦/١.

إلى غير ذلك من مسائل علم الكلام [١].

وقد أسفر هذا المناخ المتباين عن حركة علمية ضخمة شهدتها ساحات المساجد، حتى تحولت إلى ما يشبه الجامعات الحرة، فالطلاب يختلفون إلى من يودون الأخذ عنه دون قيد أو شرط، منهم من يأخذ الفقه، أو الكلام، أو الحديث النبوي الشريف، أو النحو، أو الشعر، وكثير منهم كان يأخذ ما عند شيخ، ثم يتحول عنه إلى آخر وهكذا.

ويبدو أن أكثر حلقات العلم طلابًا كانت حلقات المتكلمين والفقهاء، أما الكلام: فلارتباطه بأصل الدين، ولابتنائه على الجدل والمناظرة، وهو ما يستهوي بطبيعة الحال الكثير من طلاب العلم؛ بغية الوقوف على الحقيقة بين المذاهب المتناحرة التي غلبت على العراق.

وأما الفقه؛ فلأنه العلم الذي يرتبط بالتشريع، والحل والحرمة، ومعرفة حكم الله في النوازل المستحدثة، وما أكثرها في ذلك الزمان وما تلاه !! هذا بالإضافة إلى أن تعلم الفقه والإلمام به كان شرطًا من شروط تولي بعض المناصب العليا في الدولة كالقضاء والحسبة، وأيضًا الإمامة العظمى [٢].

عاش الإمام أبو حنيفة في هذا المناخ العلمي المزدهر، ورأى هذه المذاهب والفرق المتباينة فأنار عقله.

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد بدأ حياته يمارس مهنة أبيه: (التجارة)، يغشى الأسواق، ويتابع عن كثب حركة البيع والشراء، ويختلف قليلًا إلى مجالس العلماء، وكأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان قد هيأ نفسه ليكون تاجرًا، أو تاجرًا ماهرًا، أما العلم فلم يزد عنده عن أن يكون مجرد هواية يمارسها فيما يتبقى لديه من يومه بعد تجارته وغشيانه الأسواق.

بيد أن سلطان الجو الفكري الذي سيطر على الكوفة آنذاك لم يلبث أن أوجد به نزعة عقلية تجذبه إلى العلم جذبًا، ولكنه مع ذلك ظل على حاله،

(١) أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٧٨.
(٢) أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٧٨.

يمارس تجارته ولا يختلف إلى مجالس العلم إلا قليلًا [1] حتى قابل الشعبي، فكان لهذه المقابلة أثر كبير في تحول مسار حياته، فماذا تم فيها؟، يروى عن الإمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال:

مررت يومًا على الشعبي، وهو جالس فدعاني، فقال لي: إلى من تختلف؟ قلت: أختلف إلى السوق، قال: لم أعن الاختلاف إلى السوق، عنيت: الاختلاف إلى العلماء، فقلت له: أنا قليل الاختلاف إليهم، فقال لي: لا تغفل، وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء، فإني أرى فيك يقظة وحركة، قال: فوقع في قلبي من قوله، فتركت الاختلاف إلى السوق، وأخذت في العلم، فنفعني الله بقوله[2].

أخذ الإمام أبو حنيفة بنصيحة الشعبي الذي لفت انتباهه فيها إلى ما حباه الله به من مواهب، ينبغي أن تنفق في موضعها المناسب وهو العلم، فكان أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد هذا ينفق الجزء الأكبر من حياته للعلم، أما الباقي فلسوقه ولبيته.

*** نشأته العلمية:**

كان لا بدَّ أن يتجه النعمان للعلم، ويأخذ منه بنصيب كبير؛ فقد نشأ بالكوفة وكانت ثاني المصرين العظيمين بالعراق في ذلك العصر، وكان العراق قطرًا يموج موجًا بأصحاب المقالات الدينية والفلسفية والآراء والنحل المختلفة، كما كان يزخر بالعلماء والفقهاء وأصحاب المعارف الإسلامية على اختلاف ضروبها.

وكان صاحبنا فتى طُلَعة متصلًا بالناس، راغبًا في المعرفة، يسعفه استعداد طيب، وطبْع مُواتٍ، فما لبث أن أخذ من تلك الثقافات بقدر محمود، ومال إلى مجالس العلماء يأخذ عنهم وينظر معهم ويجادل أحيانًا.

(١) الشيخ أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت، ١٣٣/٢.

(٢) أحمد بن حجر الهيتمي المكي، الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، دار الأرقم، ٢٠١٦م، ص٦٣.

وهنا، ينبغي أن نتساءل: ما العلم الذي اتجه إليه أولَ أمره بطلب العلم؟ وما العلم الذي أقبل عليه بكليّته وقصر نفسه أخيرًا عليه؟ يذكر بعض المؤرخين للفكر الإسلامي ورجالاته أن النعمان بن ثابت طلب النحو أولَ أمره، ثم حملته نزعته للقول بالرأي أن يستعمل فيه القياس، فلم يتأتَّ له؛ إذ أراد أن يجمع «كلب» على «كلوب» كما يُجمع «قلب» على «قلوب»، فقيل له: إنه يجب جمعه على «كلاب»، فترك النحو إلى الفقه الذي له أن يقيس فيه، بخلاف اللغة التي هي سماعية لا قياسية(١).

ويذكرون أيضًا أنه «لم يكن يُعاب بشيءٍ سوى قلة العربية، ذلك ما رُوي أن أبا عمرو بن العلاء المقرئ النحوي سأله عن القتل بالمثقل: أيوجب القَوَد أم لا؟ فقال: لا، كما هو قاعدة مذهبه خلافًا للإمام الشافعي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال له أبو عمرو: ولو قتله بحجر المنجنيق؟ فقال: ولو قتله «بأبي قبيس»؛ يعني الجبل المطل على مكة حرسها الله تعالى»(٢).

وسواء أصح هذا الذي يروونه فيما يتصل بأبي حنيفة والنحو أم لم يصح، وأنه لو كان صحيحًا لكان السبب في إعراضه عن دراسة النحو الذي لا يتأتَّى القياس فيه؛ فإنه من المؤكد أنه اتجه فيما بعدُ لعلم الكلام، وأخذ منه بنصيب موفور، كما كانت له فيه كتب أُثِرَت عنه، ومن هذه الكتب: الفقه الأكبر، الرد على القدرية، العالم والمتعلم، ورسالته إلى البُستي(٣).

(١) الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب – ابن النجار ، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) وذيله والمستفاد، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م، ٣٣٢/١٣.

(٢) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م، ٢٤٥/٢.

(٣) أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م، ص٢٨٥.

المطلب الثاني
الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ (اسمه ونشأته وحياته العلمية)

اسمه:

هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان الأصبحي، جده أبو عامر صحابي جليل(١).

نشأته:

نشأ الإمام مالك في بيت اشتغل بعلم الأثر، وفي بيئة سخرت جُلَّ وقتها للحديث والأثر، فجدُّهُ مالك بن أبي عامر من كبار التابعين، روى عن عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنهم، وقد روى عنه بنوه أنس أبو مالك الإمام، وربيع، ونافع المكنى بأبي سهيل؛ ولكن يبدو أن أباه أنسًا لم يكن مشتغلًا بالحديث كثيرًا، ومهما يكن حاله من العلم ففي أعمامه وجدِّه غَناء، ويكفي مقامهم في العلم لتكون الأسرة من الأسر المشهورة بالعلم، ولقد اتَّجه من قبل مالك من إخوته أخوه النضر، فقد كان ملازمًا للعلماء يتلقَّى عليهم، فنشأ الإمام مالك وترعرع في المدينة، في صونٍ ورفاهيةٍ وتجمُّلٍ، وطلبٍ للعلم، فلم يَعْرف عملًا ولا تجارةً ولا سعيًا لسفرٍ أو صناعةٍ؛ إنما كان همُّهُ الأوحد طلب العلم ورواية الحديث(٢) .

حياته العلمية:

منحه الله تعالى من المواهب الجليلة ما ساعده على طلب العلم، ومكنه من بلوغ المقصود، ونيل المطلوب، والوصول إلى ما انقطع عنه سواه، وإدراك ما عجز عنه غيره، وهي موهبة الحفظ والفهم، وقلما يجتمعان إلا لذي عناية

(١) علي بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩م، ١٤٧/٦.

(٢) إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م، ٩٨/١.

ربانية.

فأما الحفظ فيقول مالك: قدم علينا الزهري، فأتيناه ومعنا ربيعة، فحدثنا نيفًا وأربعين حديثًا، ثم أتيناه الغد، فقال: انظروا كتابًا حتى أحدثكم منه، أرأيتم ما حدثتكم به أمس أي شيء في أيديكم منه؟ فقال له ربيعة: ههنا من يرد عليك ما حدثت به أمس، فقال: ومن هو؟ قال: ابن أبي عامر، قال: هات، فحدثته بأربعين حديثًا منها، فقال الزهري: ما كنت أرى أن بقي أحد يحفظ هذا غيري.

وحدثه مرة وكتبها في ألواحه، فقال له مالك: زدني، قال: حسبك إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ، قال: قلت: قد رويتها، فجبذ الألواح من يدي، ثم قال: حدث، فحدثته بها، فردها إليَّ وقال: قم، فأنت من أوعية العلم.

وأما الفهم: فهذا ما لا يحتاج إلى توضيح أو بيان؛ إذ هو الأصل في حال من يوصف بالاجتهاد والإمامة والفقه، كمالك(١).

وقد عكف على موائد العلم في أول سنة عشر ومائة، وفيها تُوفِّي الحسن البصري، فأخذ عن: نافع ولازمه، وعن: سعيد المقبُري، ونعيم المجمر، ووهب بن كيسان، والزهري، وابن المنكدر، وعامر بن عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن دينار، وزيد بن أسلم، وصفوان بن سليم، وإسحاق بن أبي طلحة، ومحمد بن يحيى بن حبان، ويحيى بن سعيد، وأيوب السختياني، وأبي الزناد، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وخلق سواهم من علماء المدينة، فقل ما روى عن غير أهل بلده(٢) .

(١) السيد الشريف محمد بن علوي المالكي الحسني، إمام دار الهجرة مالك بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م، ص١٨، ١٩.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المكتبة الوقفية، ٢٠٠٦م، ١١/١٧٥.

المطلب الثالث

الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(اسمه ونشأته وحياته العلمية)

اسمه:

هو: محمَّد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، ويجتمع مع النبي ﷺ في عبد مناف بن قصي.

كنيته أبو عبد الله[١] .

نشأته:

مات أبوه إدريس شابًّا، فنشأ محمَّدٌ يتيمًا في حجر أمه، فخافت عليه الضَّيعة، فتحولت به إلى محتِدِه وهو ابن عامين، فنشأ بمكة، وأقبل على الرمي، حتى فاق فيه الأقران، وصار يُصيب من عشَرة أسهمٍ تسعةً، ثم أقبل على العربية والشرع، فبرع في ذلك، وتقدم، ثم حُبِّب إليه الفقه، فساد أهل زمانه[٢] .

حياته العلمية:

قال إسماعيل بن الحبال الحميري: كان محمَّد بن إدريس الشَّافعي رجلًا شريفًا، وكان يطلب اللغة والعربية والفصاحة والشعر في صغره، وكان كثيرًا ما يخرج إلى البدو ويحمل ما فيه من الأدب، فبينما هو ذات يومٍ في حي من أحياء العرب إذ جاء إليه رجلٌ بدوي، فقال له: ما تقول في امرأةٍ تحيض يومًا، وتطهر يومًا؟ فقال: لا أدري، فقال له: يابن أخي، الفضيلةُ أولى بك من

(١) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ص٦٦.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م، ٦/١٠.

النافلة، فقال له: إنما أريد هذا لذاك، وعليه قد عزمت، وبالله التوفيق، وبه أستعين، ثم خرج إلى مالك بن أنسٍ، وكان مالكٌ صدوقًا في حديثه، صادقًا في مجلسه، وحيدًا في جلوسه، فدخل عليه، وارتفع على أصحابه، فنهره مالكٌ، فوجده موقرًا في الأدب، فرفعه على أصحابه، وقدمه عليهم، وقرَّبه من نفسه، فلم يزل مع مالكٍ إلى أن توفي مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثم خرج إلى اليمن؛ ليكمل مسيرة طلب العلم(١).

قال الشَّافعي: «كنت يتيمًا في حجر أمي، ولم يكن معها ما تعطي المعلم، وكان المعلم قد رضي مني أخلفه إذا قام، فلما ختمتُ القرآن دخلت المسجد، فكنت أجالس العلماء، فأحفظ الحديث، أو المسألة، وكان منزلنا بمكة في شعب الخيف، فكنت أنظر إلى العظم يلوح فأكتب فيه الحديث والمسألة، وكانت لنا جرةٌ قديمةٌ، فإذا امتلأ العظم طرحته في الجرة»(٢).

قال إسماعيل بن يحيى: سمعت الشَّافعي يقول: حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين، وحفظت الموطأ وأنا ابن عَشْر سنين(٣).

(١) أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر، ١٩٩٥م، ٨١/٩.

(٢) نفس المرجع، ٧٣/٩.

(٣) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، مرجع سابق، ٦٣/٢.

سَعة علم الإمام الشَّافعي:

قال أبو ثورٍ: كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشَّافعي وهو شاب أن يضع له كتابًا فيه معاني القرآن، ويجمع قبول الأخبار، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ، فوضع له كتاب (الرسالة) [١].

ذكاء الإمام الشَّافعي:

قال حرملة بن يحيى: سئل الشَّافعي عن رجلٍ في فمه تمرةٌ، فقال: إن أكلتها فامرأتي طالقٌ، وإن طرحتها فامرأتي طالقٌ، قال: يأكل نصفًا، ويطرح النصف[٢].

قوة حفظ الإمام الشَّافعي:

قال يونس بن عبد الأعلى: كان الشَّافعي يصنع كتابًا من غدوةٍ إلى الظهر من حفظه، من غير أن يكون في يده أصلٌ [٣].

قراءة الشَّافعي الموطأ على الإمام مالك:

قال محمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم: جاء الشَّافعي إلى مالك بن أنسٍ، فقال له: إني أريد أن أسمع منك الموطأ، فقال مالكٌ: تمضي إلى حبيبٍ كاتبي، فإنه الذي يتولى قراءته، فقال له الشَّافعي: تسمع مني رضي الله عنك صفحًا، فإن استحسنتَ قراءتي قرأته عليك، وإلا تركت، فقال له: اقرأ، فقرأ صفحًا ثم وقف، فقال له مالكٌ: هيه، فقرأ صفحًا ثم سكت، فقال له: هيه، فقرأ، فاستحسن مالكٌ قراءته، فقرأه عليه أجمعَ[٤].

(١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ٤٤/١٠.

(٢) الأصبهاني، حلية الأولياء، مرجع سابق، ١٤٣/٩.

(٣) الأصبهاني، حلية الأولياء، مرجع سابق، ١٢٩/٩.

(٤) ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مرجع سابق، ص٦٧.

المطلب الرابع
الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ
(اسمه ونشأته وحياته العلمية)

اسمه:

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي ثم البغدادي.

خرجت أمه حاملا به من مرو، وولد ببغداد سنة ١٦٤هـ، ونشأ بها، وأكبَّ على السنة يجمعها ويحفظها حتى صار إمام المحدثين في عصره[١] .

نشأته:

في بيت كريم من بيوت بني شيبان في بغداد وُلد أحمد بن حنبل في (ربيع الأول ١٦٤هـ = نوفمبر ٧٨٠م)، وشاء الله ألا يرى الوالد رضيعه؛ فقد توفي قبل مولده، فقامت أمّه برعايته وتنشئته، وحرصت على تربيته كأحسن ما تكون التربية، وعلى تعليمه فروع الثقافة التي كانت سائدة، فحفظ القرآن الكريم، وانكبّ على طلب الحديث في نهم وحب، يسرع الخطى إلى شيخه قبل أن يسفر الصباح؛ حتى يكون أول من يلقاه من تلاميذه، حتى إذا شبّ عن الطوق انتقل إلى حلقة «أبي يوسف» تلميذ أبي حنيفة، وأول من اعتلى منصب قاضي القضاة، وكانت حلقته آية في السمو والرقي، يؤمها طلاب العلم والعلماء والقضاة على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم، وقد لزم أحمد بن حنبل حلقة أبي يوسف أربع سنوات، كتب ما سمعه فيها ما يملأ ثلاثة صناديق، كما لزم حلقة «هشيم بن بشير السلمي» شيخ المحدثين في بغداد، ولا يكاد يسمع بعالم ينزل بغداد إلا أقبل عليه وتتلمذ له، فسمع من «نعيم بن حماد»، و«عبد الرحمن بن مهدي»، و«عمير بن عبد الله بن خالد» [٢].

(١) محمد علي السايس، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م، ص١٢٨.
(٢) أحمد عبد الرحيم السايح، الإمام أحمد بن حنبل، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، ١٩٩٤م، ص٣١.

حياته العلمية:

اتجه أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى طلب العلم الذي وجهته أسرته إليه، واستقام ذلك التوجيه مع نزوعه الخاص، وبذلك تلاقت ميوله مع الوجهة التي وُجِّه إليها، وكانت بغداد فيها علوم الدين، واللغة، والرياضيات، والفلسفة، والتصوف؛ إذ كانت حاضرة العالم الإسلامي، فاختار الإمام أحمد في صدر حياته رجال الحديث ومسلكهم، فاتجه إليهم أول اتجاهه، ويظهر أنه قبل أن يتجه إلى المحدثين أراد طريق الفقهاء الذين جمعوا بين الرأي والحديث، فيروى أن أول تلقيه كان على القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة فقد قال: «أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف»، ولكنه مال من بعد إلى المحدثين الذين انصرفوا بجملتهم للحديث، وبقي يتلقى الحديث ببغداد من سنة ١٧٩ هـ إلى سنة ١٨٦ هـ، ولزم عالمًا كبيرًا من علماء الحديث والآثار ببغداد أربع سنوات، وهو هشيم بن بشير بن أبي خازم الواسطي (المتوفى سنة ١٨٣ هـ) ، وكانت سنه عند الملازمة حوالي الست عشرة سنة، وكتب الإمام أحمد عنه كتاب الحج وبعضًا من التفسير وكتاب القضاء وكتبًا صغارًا.

ولقد استمع أيضًا بعد ملازمته لهشيم إلى عبد الرحمن بن مهدي وأبي بكر بن عباس، وبعد موت هشيم أخذ أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتلقى الحديث حيثما وجده وحيثما كان؛ ومكث ببغداد نحو ثلاث سنوات يأخذ من شيوخها بجد وأدب ونشاط، فقد ذكر عن نفسه: «كنت ربما أردت البكور في الحديث؛ فتأخذ أمي بثيابي، حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا»[١].

(١) سعاد زرزور، فقه العبادات على المذهب الحنبلي، جامع الكتب الإسلامية، ١٩٨٦، ص١٢.

المبحث الثاني
التعريف بأصول مذهب الأئمة الأربعة

المطلب الأول: أصول مذهب الإمام أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جاء في كتاب الانتقاء: أن أبا حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: (آخذ بكتاب الله تعالى، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ، فإن لم أجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله ﷺ أخذت بقول الصحابة؛ آخذ بقول من شئت منهم وأدع قولَ من شئت منهم، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر – أو جاء – إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب – وعدد رجالًا – فقوم اجتهدوا، فأجتهد كما اجتهدوا) (١).

وجاء في مناقب الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ للموفق المكي بسنده إلى سهل بن مزاحم، قال: كلام أبي حنيفة أخذٌ بالثقة وفرار من القبح، والنظر في معاملات الناس وما استقاموا عليه وصلحت عليه أمورهم، يمضي الأمور على القياس، فإذا قبح القياس أمضاها على الاستحسان مادام يمضي له، فإذا لم يمضِ له، رجع إلى ما يتعامل المسلمون به، وكان يؤصل الحديثَ المعروفَ الذي أُجمع عليه، ثم يقيس عليه مادام القياس سائغًا، ثم يرجع إلى الاستحسان أيهما كان أوفق رجع إليه، قال سهل: هذا علم أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ عِلم العامة(٢).

ومن هذه النقولات وغيرها يتضح أن الأصول الفقهية عند الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله تعالى ـ هي ما يلي:

١- **القرآن الكريم:** عند الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ هو المصدر الأول والأعلى في مسائل الفقه؛ لأنه الكتاب القطعي الثبوت، لا يشكُّ في حرف منه، وأنه ليس يوازي كلامَ الله تعالى، ولا يصل إلى رتبته في الثبوت

(١) ابن عبد البر، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، مرجع سابق، ٨٢/١.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، لجنة إحياء المعارف العثمانية، الهند، ١٤٠٨هـ، ٨٩/١.

إلا الحديث المتواتر؛ لذلك لا يرى ـ رحمه الله تعالى ـ نسخ القرآن الكريم بخبر الآحاد من السنة، وإنما يعمل بها ما أمكن، وإلا تركَ السنة الظنية للكتاب القطعي؛ قال تعالى: ﴿ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ﴾ [المزمل:٢٠]، وقال ﷺ: **«لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»** [١] ، فيحكم بأن أصل قراءة القرآن الكريم في الصلاة ركن، أما تقسيم القراءة للقرآن الكريم إلى الفاتحة وبعض ما تيسر من القرآن، فذلك واجب، وبذلك عمل بالقرآن والسنة معًا[٢].

٢- **السنة النبوية:** كان أبو حنيفة يتحرى عن رجال الحديث، ويثبت من صحة روايتهم، فقد لا يقبل الخبر عن رسول الله ﷺ إلا إذا رواه جماعة عن جماعة، أو اتفق فقهاء الأمصار على العمل به، فأصبح مشهورًا، وبهذا تضيق دائرة العمل بالحديث[٣].

٣- **القياس:** ضاقت دائرة الأخذ بالحديث وكان التوسع في الأخذ بالقياس. وهكذا كان أبو حنيفة يُعمل رأيه في المسألة، ويجتهد في استنباط حكمها دون أن يتقيد بقول سابق للصحابة أو التابعين، ما لم يتبين له صحة نقل عن رسول الله ﷺ، فقد قال – في النص الآنف الذكر: (آخذ بكتاب الله تعالى، فإن لم أجد فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم أجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسول الله ﷺ أخذت بقول الصحابة؛ آخذ بقول من شئت منهم وأدع قولَ من شئت منهم، ولا أخرج عن قولهم إلى قول غيرهم، فإذا انتهى الأمر – أو جاء – إلى إبراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب – وعدد رجالًا – فقوم اجتهدوا، فاجتهد كما اجتهدوا[٤].

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦) عن عبادة بن الصامت.
(٢) سليمان غاوجي، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م، ص١١٠.
(٣) مناع بن خليل القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، ٢٠٠١م، ص٣٣٢.
(٤) نفس المرجع، ص٣٣٣.

٤- **الاستحسان:** عند الإمام ـ رحمه الله تعالى ـ اختيار أقوى الدليلين في حادثة معينة، ويعتبر الاستحسان من أصول الأدلة في مذهب أبي حنيفة، وإن بالغ في الأخذ به بعض الأحناف، فقالوا: إن المجتهد له أن يستحسن بعقله، إلا أن المتأخرين منهم على أن الاستحسان عبارة عن دليل يقبل القياس الجلي الذي تسبق إليه الأفهام(١).

٥- **الحيل الشرعية:** ينسب كثير من الباحثين إلى فقه أبي حنيفة الحيل الشرعية، أنها كانت بابًا واسعًا من أبواب الفقه في مذهبه، وقد تكلم ابن القيم عن الحيل في كتابه «إعلام الموقعين» وشنَّع على من توسع فيها، وقال: (إن المتأخرين أحدثوا حيلًا لم يصح القول بها عند أحد من الأئمة، وهم مخطئون في نسبتها إليهم)، والحيل عند فقهاء الحنفية تطلق على المخارج من المضايق بوجه شرعي، حيث جاء في شرح الأشباه والنظائر للحموي: الحيل: جمع حيلة، وهي وجود النظر، والمراد بها هنا ما يكون مخلصًا شرعيًّا لمن ابتلي بحادثة دينية، ولكون المخلص من ذلك لا يدرك إلا بالحذق وجودة النظر أطلق عليه الحيلة، ومادامت الوسائل مشروعة، وتؤدى إلى مقاصد مشروعة، فإن ذلك يكون جائزًا(٢).

(١) سليمان غاوجي، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص١١٦.

(٢) مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص٣٣٤.

المطلب الثاني

أصول مذهب الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ

لم يكن للإمام مالك أصول مدونةٌ بالمعنى المعروف، فقد استطاع أصحابه ثم أصحابهم من بعدهم أن يستقصوا من فقهه الأصول التي بنى عليها فقهه، واستمد بعضه من بعض شيوخه، ومما كان يسمعه من كبار العلماء والفقهاء في مواسم الحج، ومن المصالح التي كان يعتبرها، وقد كثرت هذه الأصول كثرةً لم يبلغها أحد من الأئمة، حتى أحصى السبكي في (طبقات الشافعية) أصول مالك، أو أصول المذهب المالكي فزادت على خمسمائة، وهذه الكثرة تدل على حيوية المذهب[1].

وقد عمد تلاميذ مالك إلى كتابه (الموطأ) واستخرجوا منه ما يصح أن يكون أصولًا لاستنباط الفروع، ويمكن إيجازها فيما يأتي:

١- **القرآن الكريم:** كان مالك يرى أن القرآن قد اشتمل على كليات الشريعة، وأنه عمدة الدين، وآية الرسالة، ولم تكن نظرته إليه كنظرة الجدليين، فلم يخض فيها ما خاض فيه المتكلمون من أنه لفظ ومعنى، أو معنى فقط، وهو عنده اللفظ والمعنى، كما هو إجماع من يعتد بهم من المسلمين، وروي أنه كان يقول: إن من يقول بأن القرآن مخلوق فهو زنديق يجب قتله؛ ولذا لم يعتبر الترجمة قرآنا يتلى تجوز به الصلاة، بل هي تفسير أو وجه من وجوه المعنى المعقول، وهو يأخذ بنص القرآن، وظاهره ومفهومه، ويعتبر العلة التي يأتي التنبيه عليها.

٢- **السنة:** مالك من أئمة الحديث، كما أنه إمام في الفقه، ورجال الحديث يشهدون له بذلك، وهم يعتبرون سنده في بعض أحاديثه أصح الأسانيد، ويسميها المحدثون بالسلسلة الذهبية، ومع أن مالكًا يشدد في قبول

(١) عبد الغني الدقر، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٥م، ص١٤٢.

الرواية، إلا أنه كان يقبل المرسل من الأحاديث، مادام رجاله ثقات، وفي موطئه كثير من المرسلات، ومن منقطع الإسناد ومن البلاغات التي يقول فيها مالك: بلغني أن رسول الله ﷺ قال كذا، وهذا يدل على أنه لم يلتزم الإسناد المتصل في أحاديثه كلها، وكان يكفيه أن يطمئن على صحة الحديث، وقد اختلفوا في تقديم القياس على خبر الواحد، والمشهور في ذلك أنه كان يقدم خبر الواحد على القياس.

٣- **عمل أهل المدينة:** ذهب مالك إلا أن المدينة هي دار الهجرة، وبها تنزل القرآن، وأقام رسول الله ﷺ، وأقام صحابته، أهل المدينة أعرف الناس بالتنزيل، وبما كان من بيان رسول الله ﷺ للوحي، وهذه ميزات ليست لغيرهم، وعلى هذا فالحق لا يخرج عما يذهبون إليه، فيكون عملهم حجة، يقدَّم على القياس، وعلى خبر الواحد، وفي كتاب الإمام مالك إلى الليث بن سعد: (إن الناس تبع لأهل المدينة، التي إليها كانت الهجرة، وبها تنزل القرآن) [(١)].

٤- **قول الصحابي:** يرى مالك في مذهبه أنه إذا لم يرد حديث صحيح في المسألة عن النبي ﷺ، فإن قول الصحابي إذا لم يعلم له مخالف، يكون حجة، وقد ضمَّن الموطأ العديد من أقوال الصحابة والتابعين ، فالصحابة أعلم بالتأويل، وأعرف بالمقاصد؛ لأنهم حضروا التنزيل، وسمعوا كلام رسول الله ﷺ، فقولهم أولى بالأخذ، يخص به العام، ويترك لأجله القياس، ولكن مالكًا يُقدِّم عمل أهل المدينة على قول الصحابي، فقد روى في الموطأ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (قرأ سجدة وهو على المنبر يوم الجمعة فنزل وسجد فسجد الناس معه، ثم قرأها يوم الجمعة الأخرى فتهيأ الناس للسجود، فقال: على رسلكم، إن الله لم يكتبها علينا إلا أن نشاء،

(١) سليمان غاوجي، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص١٢٠.

فلم يسجد، ومنعهم أن يسجدوا)، فعمر يجيز للإمام إذا شاء أن ينزل من على المنبر إذا قرأ السجدة ليسجد، ويعلق مالك عليه بقوله: (ليس العمل على أن ينزل الإمام إذا قرأ السجدة على المنبر فيسجد)، وحين تتعدد أقوال الصحابة في المسألة الواحدة فإن مالكًا يختار منها ما يتفق مع عمل أهل المدينة، ويروى أن زيد بن ثابت قال: (الصلاة الوسطى صلاة الظهر)، وأن علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس كانا يقولان: (الصلاة الوسطى: صلاة الصبح) ثم يقول مالك: (وقول علي وابن عباس أحب ما سمعت إليَّ في ذلك)، كما روي عن عدد من الصحابة أن الصلاة الوسطى صلاة العصر[1].

٥- **المصالح المرسلة:** العمل بالمصالح المرسلة أساس من الأسس التي اعتمد عليها مالك في مذهبه، وهي: جلب منفعة، أو دفع مضرة لم يشهد لها الشرع بإبطال ولا باعتبار معين؛ لأن تكاليف الشريعة ترجع إلا حفظ مقاصدها في الخلق، ضرورية كانت أم حاجية، أم تحسينية، والضرورية: هي التي لابد منها في قيام مصالح الدين والدنيا في الضروريات الخمس الثابتة في الملل جميعًا وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، والحاجية: هي التي تؤدي إلى رفع الضيق، والحرج، والمشقة، والتحسينية: هي المتعلقة بمكارم الأخلاق، وكون هذه المعاني مقصودة عرف بأدلة كثيرة لا حصر لها من الكتاب والسنة، مما يدل على مقاصد الشرع؛ ولذا ذهب مالك إلى أن هذه المصلحة تكون حجة، واعتبر بعض الباحثين القول بالمصلحة من خصوصيات مذهب مالك، وذكر الشاطبي في (الاعتصام): أن مالكًا يذهب إلى اعتبارها، ويكثر من بناء الأحكام عليها، ومن أمثلة عمل مالك بالمصالح المرسلة، ما قاله في الزعفران

(١) سليمان غاوجي، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص١٢٨.

المغشوش إذا وجد بيد الذي غشه، حيث قال: إنه يتصدق به على المساكين قل أو كثر، ويقول الشاطبي: إنه يماثل إراقة عمر للبن المغشوش بالماء، ووجه ذلك التأديب للغاش، وهذا التأديب لا نص يشهد له، لكن من باب الحكم على الخاصة لأجل العامة، ومن ذلك إجازة بيعة المفضول مع وجود الأفضل إذا خيف اضطراب أمور الناس، وعدم إقامة مصالحهم إذا لم يبايع المفضول عندئذ.

٦- **القياس:** حيث لا يوجد نص من كتاب أو سنة، أو قول صحابي، أو إجماع من أهل المدينة، فإن مالكًا كان يجتهد، ويستعمل القياس في اجتهاده، ويستعمل القياس في اجتهاده، فقد جاء في (الموطأ): سئل مالك عن الحائض تطهر فلا تجد ماء تيمم ؟ قال: نعم، فإن مثلها مثل الجنب إذا لم يجد ماء تيمم، فمالك هنا يقيس الحائض حين تطهر على الجنب في التيمم عند فقد الماء الذي ثبت بالنص القرآني في قوله تعالى: ﴿لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [النساء:٦]؛ ولهذه المسألة نظائر في القياس عند مالك(١).

٧- **سد الذرائع:** الذرائع، جمع ذريعة، وعرفها القرافي في (الفروق) بأنها: هي الوسيلة إلى الشيء، وعرفها الشاطبي في (الموافقات) بأنها: التذرع بفعل جائز إلى عمل غير جائز، وعامة ما ورد في معناها يؤول إلى: ما كان ظاهره الإباحة، ويتوصل به إلى فعل محظور، والمراد بسد الذريعة، الحيلولة دونها، والمنع فيها؛ لأن ما يؤدي إلى المفسدة – وإن كان مباحًا – يكون مفسدة، فيجب الامتناع عنه، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وقد أكثر مالك إكثارًا شديدًا من العمل بسد الذرائع حتى اعتبر بعض العلماء العمل بها من خصوصيات مذهبه، يقول الشاطبي في

(١) سليمان غاوجي، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، مرجع سابق، ص١٣١.

(الاعتصام): وكان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ شديد المبالغة في سد الذرائع، ومن أمثلة عمل مالك بسد الذرائع أنه لما هم أبو جعفر المنصور بأن يبني البيت وفق ما رواه ابن الزبير على قواعد إبراهيم شاور مالكًا في ذلك، فقال له مالك: أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك، لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه لما ذكر من أنها تصير سنة متبعة، وثبت فيما رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال :**«من صام رمضان ثم أتبعه ستة من شوال كان كصيام الدهر»**[1]، ولكنَّ الإمام مالكًا كره صيامها متصلة برمضان متوالية مخافة اعتقاد وجوبها فيلحق الناس برمضان ما ليس من رمضان[2].

(١)أخرجه مسلم (١١٦٤)، وأبو داود (٢٤٣٣)، والترمذي (٧٥٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٢٨٦٢)، وابن ماجه (١٧١٦)، وأحمد (٢٣٥٣٣) عن أبي أيوب الأنصاري.

(٢) مناع القطاع، تاريخ التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص٣٥٦.

المطلب الثالث

أصول مذهب الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

يختلف الشافعي عن أئمة المذاهب في أن كتب كتبه بنفسه، وأملاها على تلاميذه، وكان إملاؤه في بعض الأحيان من ذاكرته، وكما يختلف عنهم أيضا في أنه نشر مذهبه بما قام به من الرحلات، ولم يعرف هذا لغيره من الأئمة، فتلاميذهم هم الذين دونوا آراءهم، ونشروا مذاهبهم.

وأصول المذهب الشافعي مدونة في (الرسالة، والأم)، واختلاف الحديث، ففي الأم يقول: والعلم طبقات شتى: الأولى: الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة، ثم الثانية: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، والثالثة: أن يقول بعض أصحاب النبي ﷺ ولا نعلم له مخالفا منه، والرابعة: اختلاف أصحاب النبي ﷺ في ذلك، والخامسة: القياس على بعض الطبقات، ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى [(١)].

فأصول الأحكام لدى الشافعي من هذا النص خمسة، مرتبة على خمس مراتب كل مرتبة مقدمة على ما بعدها:

المرتبة الأولى: الكتاب والسنة إذا ثبتت، فالسنة مع الكتاب في مرتبة واحدة، فهي في كثير من الأحوال مبينة له مفصلة لمجمله.

والمرتبة الثانية: الإجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، والمراد بالإجماع إجماع الفقهاء.

وأما المرتبة الثالثة: فقول بعض أصحاب رسول الله ﷺ رأيا من غير أن يعرف أن أحدا خالفه.

والمرتبة الرابعة :اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ في المسألة، فيؤخذ من قول بعضهم ما هو أقرب إلى الكتاب والسنة.

والمرتبة الخامسة: القياس على أمر عرف حكمه بواحد من المراتب

(١) أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الأم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠١٩م، ٢٨٩/٧.

الأربع السابقة، وقد دافع الشافعي في (رسالته) وفي اختلاف الحديث دفاعا مجيدا عن العمل بخبر الواحد الصحيح، كما تحدث في الرسالة عن القياس حديثا لم يسبق به، وكان موقفه منه موقفا وسطا لم يتشدد فيه تشدد مالك، ولم يتوسع فيه توسع أبي حنيفة(١).

وقد أنكر الشافعي (الاستحسان)، وهاجم القائلين به هجوما عنيفا، وهو يعني بالاستحسان مجرد الرأي من غير أن يكون مستندا إلى أصل شرعي.

والحقيقة أن ما أنكره الشافعي ليس هو الاستحسان الذي توسع فيه الأحناف وأخذ به المالكية، وإنما يرجع إلى الأخذ بأقوى الدليلين أو ترجيح بعض الأدلة على بعض، وهو بهذا المعنى يدخل في الأدلة التي يأخذ بها الشافعي.

كذلك أنكر الشافعي الاحتجاج بعمل أهل المدينة، ورد المصالح المرسلة، واستغنى عنها بما سماه (المناسبة)، أي أن يكون هناك مشابهة بين ما يسمى بالمصلحة المرسلة والمصلحة المعتبرة بإجماع أو نص، ومن ثم تكون لديه وجها من وجوه القياس فلا تكون أصلا قائما بذاته.

ولا يحتج الشافعي بأقوال الصحابة، لأنها تحتمل أن تكون عن اجتهاد يقبل الخطأ، والشافعي بمنهجه الأصولي كان وسطا بين الحنفية والمالكية، فهو يتسع في الاستدلال بالحديث أكثر ما فعل أبو حنيفة ومالك، كما أنه حد من الرأي والقياس وضيق دائرة الأخذ بها، ومن ثم عدل بعض أهل الرأي عن مذهب أبي حنيفة إلى مذهب الشافعي، كذلك كان أهل الحديث أميل إلى هذا الإمام، ولا غرو إن كان من أنصاره الإمام أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وغيرهما من كبار المحدثين(٢).

(١) محمد إبراهيم محمد الحفناوي، الإمام الشافعي أصوليا، مجلة دار الإفتاء المصرية، دار الإفتاء المصرية، ٢٠١٤م، ص١٠.

(٢) ظفر دارك القاسمي، طرق الاستدلال عند الإمام الشافعي، مجلة الداعي الشهرية، دار العلوم دبوبند، ٢٠١٥م، ص١٩.

المطلب الرابع

أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ

اهتم فقه الحنابلة اهتماما كبيرا بالسنة والآداب، والاقتداء بالسلف لم يكن إلا صورة منعكسة لما كان عليه أحمد بن حنبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في هذا الجانب، فقد ألزم نفسه ألا يكتب حديثًا إلا وقد عمل به، حتى مر به أن النبي ﷺ احتجم وأعطى أبا طيبة دينارًا، فأعطى الحجام دينارًا حين احتجم.

قال الذهبي: وإلى الإمام أحمد المنتهى في معرفة السنة علمًا وعملًا، وفي معرفة الحديث وفنونه، ومعرفة الفقه وفروعه، وكان رأسًا في الزهد والورع والعبادة والصدق، وهكذا كان الإمام أحمد يفضل لنفسه أن يعيش حياة سلفية خالصة، مع أنه كان في عاصمة الحضارة الإسلامية التي قد تجمعت فيها كل أسباب النعيم والرفاهية، وقد تجرد من جميع ملابسات العصر، ومناحراته، وما يجري من منازلات فكرية وسياسية أو اجتماعية أو حربية، واختار أن يحلق في جو الصحابة والصفوة من التابعين، ومن جاء بعدهم ممن نهج نهجهم، واختار سبيلهم، ولأجل ذلك كان علمه وفقهه هو السنة بعينها، لا يخوض في أمر إلا إذا علم أن الصحابة خاضوا فيه، فإن علم بذلك اتبع رأيهم، ونفى غيره، وإن لم يعلم أن الصحابة خاضوا في ذلك الأمر كف عنه، واستعصم متوقفًا حذرًا، فلا يقفو ما ليس له به علم؛ لأنه يعتقد أن الخروج عن تلك الجادة زيغ عن منهاج السلف، وإلحاد في دين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ [(١)] .

أما طريقة الإمام في أصول المذهب الحنبلي فقد كانت طريقة الصحابة والتابعين لهم بإحسان لا يتعدى طريقتهم ولا يتجاوزها إلى غيرها كما هي عادته في مسالكه في التوحيد والفتيا في الفقه وفي جميع حركاته وسكناته، وقد صرح المجتهدون من أهل مذهبه التابعون له في الأصول أن فتاواه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مبنية على خمسة أصول:

الأصل الأول: النص: كان إذا وجد النص أفتى بموجبه ولم يلتفت إلى

(١) عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، المذهب الحنبلي دراسة في تاريخه وسماته، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م، ٣٣٨/١.

ما خالفه لا إلى من خالفه كائنا من كان؛ ولهذا لم يلتفت إلى خلاف عمر في المبتوتة لحديث فاطمة بنت قيس، ولا إلى خلافه في التيمم للجنب لحديث عمار بن ياسر المصرح بصحة تيمم الجنب.. ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا ولا قول صاحب ولا عدم علمه بالمخالف الذي يسميه كثير من الناس بالإجماع، ويقدمونه على الحديث الصحيح، وقال الإمام ابن القيم وغيره من علماء الأصول: قد كذَّب أحمد من ادعى هذا الإجماع ولم يسغ تقديمه على الحديث الثابت، وكذلك الشافعي أيضا نص في رسالته الجديدة على أن ما لم يعلم فيه خلاف لا يقال له إجماع.

الأصل الثاني: من أصول فتاوى الإمام أحمد ما أفتى به الصحابة فكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها لم يتجاوزها إلى غيرها، ولم يقل إن ذلك إجماع بل من ورعه في العبارة يقول: لا أعلم شيئا يدفعه أو نحو هذا.

الأصل الثالث: من أصوله إذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة ولم يخرج عن أقوالهم فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها ولم يجزم بقول.

الأصل الرابع: الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل ولا المنكر ولا في روايته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه فالعمل به.

الأصل الخامس: القياس كان الإمام أحمد يستعمله للضرورة على ما علمت مما سبق ففي كتاب الخلال عن أحمد قال: سألت الشافعي عن القياس فقال: إنما يصار إليه عند الضرورة أو ما هذا معناه فهذه الأصول الخمسة من أصول فتاوى الإمام أحمد وعليها مدارها[1].

وهذه الأصول تلتقي في المبدأ مع قواعد مذهب الإمام الشافعي، ولعل السبب هو قوة الاتصال الذي وقع بين الشيخين، والعلاقة العلمية التي تجعل

(١) عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ، ص١١٩.

الإمام الشافعي يطلب تصحيح الحديث عن الإمام أحمد، وكذا تتلمذ أحمد بن حنبل في الفقه، وتخرج على يد الإمام الشافعي رحمة الله عليهما جميعا، قال الحجوي الفاسي: مبدؤه قريب من مبدأ الشافعي؛ لأنه تفقه عليه حتى إن الشافعية يعدونه شافعيا، ولكن الحق أنه مذهب مستقل وأن نسبته للشافعي كنسبة أبي يوسف لأبي حنيفة غير أن مذهب أبي يوسف ألف مع مذهب أبي حنيفة، فامتزجا بخلاف أحمد، فقد ألف مذهبه مستقلا(١).

قال ابن تيمية: وموافقة الإمام أحمد للشافعي وإسحاق أكثر من موافقته لغيرهما وأصوله بأصولهما أشبه منها بأصول غيرهما، وكان يثني عليهما ويعظمهما ويرجح أصول مذاهبهما على من ليست أصول مذاهبه كأصول مذاهبهما، ومذهبه أن أصول فقهاء الحديث أصح من أصول غيرهم والشافعي وإسحاق هما عنده من أجل فقهاء الحديث في عصرهما(٢).

إن هذين الإمامين يشتركان في خدمة الحديث الشريف وفقهه، مما صار له الأَثر على فقههما، وتلاقي فُهُوْمِهِمَا في الاستنباط والتعليل، وصار له أَثر على أتباعهما في خدمة السنة النبوية؛ ولهذا برز في كلا المذهبين أَعلام على قدم الإمامة في علم الحديث فمن الشافعية: الخطيب، والنووي، وابن كثير والذهبي، وابن حجر، ومن الحنابلة: عبد الغني بن سرور المقدسي، وابن تيمية، وابن القيم، وابن عبد الهادي، وكان من أَثر الفقه الشافعي بالفقه الحنبلي سلوك بعض الأصحاب طريقة بعض الشافعية في صناعة التأليف في الفقه، وذلك من لدن أَول متن في المذهب: «مختصر الخِرَقي»؛ إذ أَلَّفهُ على طريقة المزني في «مختصره»(٣).

(١) محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ٢/٢٥.

(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م، ٣٤/١١٣.

(٣) بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد ، المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، دار العاصمة، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ١٤١٧هـ، ١/٣٧٤.

المبحث الثالث

الرد على المتطاولين من الصغار المتعالمين

المطلب الأول: قولهم: إن الاجتهاد توقف في القرن الرابع:

إنّ باب الاجتهاد لم يغلق – كما قيل واشتهر بين الناس، لا سيما بين علماء الجمهور – بل ميدانه مفتوح، وقد عرفنا أنه أصبح الآن أسهل وأيسر مما كان من ذي قبل، ولكن حصل انعطاف كبير في حياة المسلمين الفكرية والعلمية حينما نودي بإغلاق باب الاجتهاد، وتوقف الفقهاء عن كلّ حركة علمية.

ومما يؤسف له أنّ نرى علماء الجمهور هم أسرع للقول بسد باب الاجتهاد، ولكن مع ذلك توجد أقوال مذهبية كثيرة للفقهاء اجتهادًا منهم في ضوء الظروف التي عاشوها، فيجب ألا نقف أمام هذه الأقوال من دون ردٍّ، وكأنها نصوص قطعية مقدسة لا رأي لنا معها، بل يجب أنّ فكر لمثل هذه الأقوال، فما كان منها مناسبًا ومعقولا قبلناه، وإلا غيرناه برأيٍ اجتهاديٍّ، فهم رجال ونحن رجال، وأمامنا الآن ما لم يكن أمام القدماء، نعم، نقدرهم ونحترمهم، ولكن لا نلغي عقولنا[1].

ويذهب ابن تيمية إلى أنّه: (ثبت عن الأئمة الأربعة أنهم نهوا الناس عن تقليدهم، وأمروا – إذا رأوا قولًا في الكتاب والسنة أقوى من قولهم – أنْ يأخذوا بما دل عليه الكتاب والسنة ويدعوا أقوالهم) [2].

ومن الّذين نادوا بفتح باب الاجتهاد من المتقدمين – على سبيل الذكر لا الحصر .: الزمخشري، وابن العربي، وابن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية، والسيوطي، وأبو الفتح الشهرستاني، والشاطبي، والشوكاني، والبغوي، والكمال ابن الهمام الحنفي، وتاج الدين السبكي، وغيرهم.

ومن المتأخرين: السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمّد عبده، ومحمد

(١) فتحي عثمان، الفكر القانوني الإسلامي، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩٥م، ص٣٦٠.

(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ٤٠٩/١.

رشيد رضا والشيخ المراغي، وشيخ الأزهر محمود شلتوت، والشيخ محمّد الشناوي، وأحمد أمين.

وعلى هذا، فلا ينبغي تصور الاجتهاد بأنه "عنقاء" أكبر من أنّ تصاد، وليس هو شيئًا يثقلُ على العالم احتماله، سيما هؤلاء العلماء العظام السابقين بعد عصر الاجتهاد، فقد كانوا بحرًا فياضًا في علمهم بالتفسير والحديث.

ولكن، لا تزال آثار جناية بعض الماضين على عقولهم حتّى الآن حينما أطلقوا عبارات اليأس وعدم الثقة وفقدان الأمل التي أملاها عليهم انبهارهم وإعجابهم بأئمتهم حين قالوا: (إنّ الله لن يجود على الزمان بمثل فلان...)[١]، وحكموا على الله بالعجز قهرًا بألا يخلق مثل فلان وفلان، كما قال ابن قيم الجوزية، والإمام الشوكاني عندما وصفوا حال المقلدين: (إنّ همهم نيل الرئاسة الدنيوية، وهم لهذا يلبسون الثياب الرقيقة، ويديرون على رؤوسهم العمائم كالروابي يلفتون بذلك نظر أهل السلطان، ويجمعون حولهم الناس، فإذا تكلم عالم من علماء الاجتهاد بشيءٍ يخالف ما يعتقدونه قاموا عليه قومة جاهلية) [٢].

وقال السيد جمال الدين الأفغاني: (ما معنى باب الاجتهاد مسدود؟ وبأي نص سد باب الاجتهاد؟ أو أي إمام قال: لا ينبغي لأحد من المسلمين بعدي أنّ يجتهد ليتفقه في الدين، أو أنّ يهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث؟).

وقال أيضًا: (لا أرتاب في أنّه لو فسح من أجل أبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وعاشوا إلى اليوم لظلوا مجتهدين ومجدين، يستنبطون لكل قضية حكمًا من القرآن والحديث، وكلما ازداد تعمقهم وتمعنهم ازدادوا فهمًا دقيقا) [٣].

(١) فتحي عثمان، مرجع سابق، ص٣٦٠.

(٢) سيد محمد موسى توانا الأفغانستاني ، الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر، دار الكتب الحديثة، ٢٠٠٥م، ص٣٠٨.

(٣) محمد باشا الخوارزمي، خاطرات جمال الدين الأفغاني، المطبعة العلمية، ص١٧٧.

المطلب الثاني

مقولة: (هم رجال ونحن رجال)

قول القائل: هم رجال ونحن رجال.

هذه كلمة حق أريد بها باطل، فإن الكلام قد يكون حقًّا لكن فيه سوء أدب، وفيه خروج عن الهدي، والهدي الكامل الذي ينبغي للمؤمن أن يلتزمه؛ ولذلك لو قال قائل: الله رب القردة والحمير والخنازير، كلمته صحيحة، ولكن فيها نوع سوء أدب، فلو قال: رب الخلق لكان أكمل أدبًا، وكان أرعى حرمةً لله عَزَّوَجَلَّ، فليس كل كلام ظاهره أنه مزوق أنه يقبل، فالإنسان يرجع إلى سلف الأمة، ويرتبط حاضر الأمة بماضيها، هذا الباب الذي فتح الآن من بعض المتفيهقين الذين –سامحهم الله وهدانا وإياهم إلى سواء السبيل– يقولون: نعيد النظر، ونريد تجديد الشريعة ومسايرتها للعصر، هذا مما لا ينبغي، ومقالته هذه قد تؤدي –والعياذ بالله– إلى هدم الشريعة ونقضها، لكن قد يكون مقصود البعض مقصودًا حسنًا في جانب نستثنيه وهو أن يقال: إننا نريد من يترجم فهم السلف للخلف بأسلوب معاصر، فهذا كلام طيب، وكلام مقبول بمعنى: أن تأخذ الكتب التي عن سلف الأمة وتأتي بأسلوب صحيح سوي يناسب الأفهام، فهذا كلام صحيح، وهو واجب الدعاة وواجب العلماء، والحمد لله هم قائمون به في فتاويهم وتعليمهم ودروسهم.

أما لو قيل: نريد أن نغير الفتاوى لتغير الزمان، أو نريد أن نجدد الشريعة، فالله أعلم أنها فتنة وقانا الله وإياكم شرها، فلا خير في إنسان يعرض عن خيار هذه الأمة.

ولذلك أقول: ينبغي أن نبدأ من حيث انتهوا ولا نكرر ما فعلوا؛ لأنهم سلف الأمة المختار لها، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى حبهم، وأن يرزقنا سبيلهم، وأن يرزقنا الحشر في زمرتهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلم.

أما أصحاب المذاهب فالناس فيهم على ثلاث طوائف: طائفة تقول:

هؤلاء رجال ونحن رجال كأصحابنا من قبل، وطائفة ثانية تقول: هؤلاء المعصومون، وهؤلاء الذين لا يمكن أن يخرج الحق عنهم، وهؤلاء هؤلاء حتى بلغوا بهم مقامًا قد يصل إلى مقام الأنبياء، وأقوام وسط نزلوا أهل العلم منزلتهم، وأجلوا حملة الدين إجلالهم، ووقروا حملة الشرع توقيرهم، فحفظوا مكانتهم، ونظروا في قولهم، فما وافق الحق قبلوه، وما خالف الحق اعتذروا لصاحبه، وتأدبوا في الاعتذار عنه؛ لأن هؤلاء الذين اختلفوا من سلف الأمة كان هدفهم الحق، وكانوا يريدون وجه الله، ويريدون الدلالة على الصواب في دين الله لا أقل ولا أكثر، ما كانت عندهم شهوات وأهواء وأغراض؛ فلذلك ينبغي للإنسان أن يسلك السبيل القيم دينًا قيمًا لا اعوجاج فيه ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

والمتون الفقهية التي يقرأ الناس فيها على ثلاث طوائف: طائفة قالت: ما نقرؤها، هذه أقوال قوم (هم رجال ونحن رجال) وهم كمن قبلهم.

وطائفة قالت: هذه الكتب لا نجاوزها ولو كان النص بخلافها –والعياذ بالله.

وطائفة قالت: هذه كتب على أعيننا ورؤوسنا ما وافقت كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وإن خالفت فإننا نظن بأهلها خيرًا، ولكن الحق أحب إلينا منهم فيلتزموا صواب ما دل عليه الكتاب والسنة من الصواب، ولا يحيدون عن ذلك قيد شعرة طلبًا لمرضاة رب الأرباب فهؤلاء هم السعداء، وانظر في سلف الأمة لن تجد عالمًا إلا وجدته قد التزم مذهبًا بدليله.

انظر إلى علماء الإسلام وفقهائه الأعلام تجدهم قد قرؤوا المذاهب بالدليل، ما قرؤوها مجردةً عن الدليل ولا تعصبوا، انظر إلى الحافظ ابن عبد البر الإمام الجليل كان على مذهب المالكية ـ رحمة الله عليه ـ ثم صار مجتهدًا، ومع ذلك وافق الإمام مالكًا فيما وافقه وخالف الإمام مالكًا فيما خالفه، واعتذر عند مخالفته، ومع ذلك ينتسب إلى مذهبه، ويناصر مذهبه إن وافق

الحق، ويرده إذا خالف الحق.

شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول في فتاويه: قال أصحابنا، وأجاب أصحابنا، وهو مذهب أصحابنا، من هم أصحابه؟ أصحاب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وبه يقول إمامنا، واحتج إمامنا بكذا وكذا، مراده الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولكن قرأ فقهه بالدليل، ثم وافق الإمام أحمد، وخالف الإمام أحمد فما نقص ذلك من قدر الإمام أحمد ، ولا نقص كذلك من فضل شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقدره، وهكذا علماء الإسلام ما تجد أحدًا إلا وقد قرأ مذهبًا لكن بدليله، هذا هو السبيل البين الذي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يقيمنا وإياكم على صراطه[1] .

(١) محمد بن محمد المختار الشنقيطي، دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي، ١٢/١٣.

الخاتمة

العلم حياة القلوب من العمى، ونور الأبصار من الظلم، وقوة الأبدان من الضعف، يبلغ به العبد منازل الأحرار، ومجالسة الملوك، والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والفكر به يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به يطاع الله عَزَّوَجَلَّ، ويعبد به الله جل وعلا، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، إمام العمل؛ والعمل تابع له، يُلْهَمُه السعداء ويُحْرَمُهُ الأشقياء".

عن النبي ﷺ أنه قال: **«وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر»**[(١)].

والعلماء هم الأعلام على طريق الهدى، وهم كالنجوم يُهتدى بهم؛ وقد قال تعالى ﴿ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦].

والعلماء هم أرقى الناس منزلة في الدنيا قبل الآخرة، أحق الناس أن تشرئبَّ لهم الأعناق، وتتطلع لما عندهم، بل الغبطة تكون على هؤلاء كما قال النبي ﷺ: **«لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها »**[(٢)]، فيحسد المرء بإحسانه إلى الناس بالعلم والمال. رواه البخاري ومسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه.

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) واللفظ له، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وأحمد (٢١٧١٥) عن أبي الدرداء. وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) صحيح البخاري برقم ٧٣، وصحيح مسلم برقم ٨١٦.

المراجع

- إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري ، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت، ١٩٩٤م.
- أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي المعروف بابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٧م.
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
- أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السعادة، مصر، ١٩٩٥م.
- أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، مكتبة القرآن، القاهرة، ١٩٩٦م.
- أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، الأم، دار الفكر، بيروت، لبنان، ٢٠١٩م.
- أجمل المناظرات والمحاورات، مكتبة السعيد، الطبعة الأولى، تأليف منصور بن ناصر العواجي.
- أحمد أمين، ضحى الإسلام، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٩م.
- أحمد بن حجر الهيتمي المكي، الخيرات الحسان في مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، دار الأرقم، ٢٠١٦م.
- أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي، حاشية الطحطاوي على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، تحقيق ودراسة الشيخ أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٧م.

- أحمد عبد الرحيم السايح، الإمام أحمد بن حنبل، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، ١٩٩٤م.
- أشهر أعلام الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، الناشر شركة الريان.
- بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله بن بكر بن عثمان بن يحيى بن غيهب بن محمد ، المدخل المفصل إلى فقه الإمام أحمد وتخريجات الأصحاب، دار العاصمة، مجمع الفقه الإسلامي، جدة، ١٤١٧هـ.
- تفسير الطبري = جامع البيان بتحقيق محمود شاكر. طبعة (مؤسسة الرسالة).
- تفسير عبد الرزاق، سورة النازعات، الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية بيروت.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني ، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٥م.
- تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي ، الفتاوى الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م.
- الخطيب البغدادي؛ أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب – ابن النجار ، تاريخ مدينة السلام (تاريخ بغداد) وذيله والمستفاد، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠١م.
- زاد المسير في علم التفسير، الجزء الرابع، الصفحة ٢٤٨، الباب سورة المجادلة (٥٨): الآيات (١٢ – ١٣) ت/ جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي الفرسي الملقب بابن الجوزي.
- سعاد زرزور، فقه العبادات على المذهب الحنبلي، جامع الكتب الإسلامية، ١٩٨٦.
- سليمان غاوجي، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، دار القلم، دمشق، ١٩٩٣م.

- سنن أبي داود باب الحث على طلب العمل، الجزء ٣، الصفحة ٣١٧، الناشر المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
- السيد الشريف محمد بن علوي المالكي الحسني، إمام دار الهجرة مالك بن أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٠م.
- سيد محمد موسى توانا الأفغانستاني ، الاجتهاد ومدى حاجتنا إليه في هذا العصر، دار الكتب الحديثة، ٢٠٠٥م.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المكتبة الوقفية، ٢٠٠٦م.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، مناقب الإمام أبي حنيفة وصاحبيه، لجنة إحياء المعارف العثمانية، الهند، ١٤٠٨هـ.
- الشيخ أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ت.
- ظفر دارك القاسمي، طرق الاستدلال عند الإمام الشافعي، مجلة الداعي الشهرية، دار العلوم دبوبند، ٢٠١٥م.
- عبد الغني الدقر، سيرة أئمة المذاهب الفقهية، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٥م.
- عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران ، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠١هـ.
- عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، المذهب الحنبلي دراسة في تاريخه وسماته، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٢م.
- علي بن محمد بن محمد بن الأثير الجزري عز الدين أبو الحسن، الكامل في التاريخ، بيت الأفكار الدولية، ٢٠٠٩م.
- فتحي عثمان، الفكر القانوني الإسلامي، مكتبة وهبة، مصر، ١٩٩٥م.

- محمد إبـراهيم محمد الحفنـاوي، الإمـام الشـافعي أصـوليا، مجلـة دار الإفتـاء المصرية، دار الإفتاء المصرية، ٢٠١٤م.
- محمد باشا الخوارزمي، خاطرات جمال الدين الأفغاني، المطبعة العلمية.
- محمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.
- محمد علي السايس، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠١٥م.
- المدخل للفقه الإسلامي (تاريخه ومصادره ونظرياته العامة، ت/ محمد سلام مدكور، دار الكتاب الحديث.
- مناع بن خليل القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة وهبة، ٢٠٠١م.

ترجمة المراجع :

- ebrahym bn 3ly bn m7md ،abn fr7on ،brhan aldyn aly3mry ، aldybag almzhb fy m3rfa a3yan 3lma2 almzhb ، t78y8wt3ly8: m7md ala7mdy abo alnor ،dar altrath ll6b3walnshr ،al8ahra ،2005m.
- abo al3bas shms aldyn a7md bn m7md bn ebrahym bn aby bkr abn 5lkan،wfyat ala3yanwanba2 abna2 alzman ، dar sadr ،byrot ،1994m.
- abo alfrg m7md bn es7a8 bn m7md alora8 albghdady alm3tzly alshy3y alm3rof babn alndym ،alfhrst ،dar alm3rfa ، byrot ،1997m.
- abo 3mr yosf bn 3bd allh bn m7md bn 3bd albr bn 3asm alnmry al8r6by ،alant8a2 fy fda2l althlatha ala2ma alf8ha2 malkwalshaf3ywaby 7nyfa ،dar alktb al3lmya ،byrot ، 2010m.
- abo n3ym a7md bn 3bd allh bn a7md bn es7a8 bn mosy bn mhran alasbhany ،7lya alaolya2w6b8at alasfya2 ،dar als3ada ،msr ،1995m.
- abo y3ly alfra2 ،ala7kam alsl6anya ،mktba al8ran ،al8ahra ، 1996m.
- abo 3bd allh m7md bn edrys alshaf3y ،alam ،dar alfkr ، byrot ،lbnan ،2019m.
- agml almnazratwalm7aorat ،mktba als3yd ،al6b3a alaoly ، talyf mnsor bn nasr al3oagy.
- a7md amyn ،d7y al eslam ،mktba alnhda almsrya ،al8ahra ، 1979m.
- a7md bn 7gr alhytmy almky ،al5yrat al7san fy mna8b al emam ala3zm aby 7nyfa aln3man ،dar alar8m ،2016m.

- a7md bn m7md bn esma3yl al676aoy ،7ashya al676aoy 3la aldr alm5tar shr7 tnoyr alabsar fy mzhb al emam aby 7nyfa aln3man ،t78y8wdrasa alshy5 a7md fryd almzydy ، dar alktb al3lmya ،byrot ،lbnan ،2017m.
- a7md 3bd alr7ym alsay7 ،al emam a7md bn 7nbl،wzara alao8afwalsh2onwalm8dsat al eslamya ،1994m.
- ashhr a3lam alfkr al eslamy ،al6b3a alaoly ،alnashr shrka alryan.
- bkr bn 3bd allh abo zyd bn m7md bn 3bd allh bn bkr bn 3thman bn y7yy bn ghyhb bn m7md ،almd5l almfsl ely f8h al emam a7mdwt5rygat alas7ab ،dar al3asma ،mgm3 alf8h al eslamy ،gda ،1417h.
- tfsyr al6bry = gam3 albyan bt78y8 m7mod shakr. 6b3a (m2ssa alrsala).
- tfsyr 3bd alrza8 ،sora alnaz3at ،al6b3a alaoly sna 1419h ، dar alktb al3lmya byrot.
- t8y aldyn abo al3bas a7md bn 3bd al7lym bn tymya al7rany ،mgmo3 alftaoy ،mgm3 almlk fhd l6ba3a alms7f alshryf ،almmlka al3rbya als3odya ،1995m.
- t8y aldyn abo al3bas a7md bn 3bd al7lym bn 3bd alslam bn 3bd allh bn aby al8asm bn m7md bn tymya al7rany al7nbly aldmsh8y ،alftaoy alkbry ،dar alktb al3lmya ،byrot ، lbnan ،1987m.
- al56yb albghdady، a7md bn 3ly bn thabt albghdady ،abo bkr ،alm3rof bal56yb – abn alngar ،tary5 mdyna alslam (tary5 bghdad)wzylhwalmstfad ،dar alghrb al eslamy ، 2001m.

- zad almsyr fy 3lm altfsyr ،algz2 alrab3 ،alsf7a 248 ،albab sora almgadla (58): alayat (12 – 13) t/ gmal aldyn abo alfrg 3bd alr7mn bn 3ly bn m7md bn 3ly alfrsy alml8b babn algozy.
- s3ad zrzor ،f8h al3badat 3la almzhb al7nbly ،gam3 alktb al eslamya ،1986.
- slyman ghaogy ،syra a2ma almzahb alf8hya ،dar al8lm ، dmsh8 ،1993m.
- snn aby daod bab al7th 3la 6lb al3ml ،algz2 3 ،alsf7a 317 ، alnashr almktba al3srya ،syda – byrot.
- alsyd alshryf m7md bn 3loy almalky al7sny ،emam dar alhgra malk bn ans ، ،dar alktb al3lmya ،byrot ،lbnan ، 2010m.
- syd m7md mosy toana alafghanstany ،alagthadwmdy 7agtna elyh fy hza al3sr ،dar alktb al7dytha ،2005m.
- shms aldyn abo 3bd allh m7md bn a7md bn 3thman bn 8ayْmaz alzhby ،tary5 al eslamwofyat almshahyrwala3lam ،almktba alo8fya ،2006m.
- shms aldyn abo 3bd allh m7md bn a7md bn 3thman bn 8ayْmaz alzhby ،syr a3lam alnbla2 ،alm788 : mgmo3a mn alm788yn b eshraf alshy5 sh3yb alarna2o6 ، m2ssa alrsala ،1985m.
- shms aldyn abo 3bd allh m7md bn a7md bn 3thman bn 8ayْmaz alzhby ،mna8b al emam aby 7nyfawsa7byh ،lgna e7ya2 alm3arf al3thmanya ،alhnd ،1408h..
- alshy5 abo zhra ،tary5 almzahb al eslamya ،dar alfkr al3rby ،al8ahra ،d.t.

- zfr dark al8asmy ،6r8 alastdlal 3nd al emam alshaf3y ، mgla alda3y alshhrya ،dar al3lom dbobnd ،2015m.
- 3bd alghny ald8r ،syra a2ma almzahb alf8hya ،dar al8lm ، dmsh8 ،2005m.
- 3bd al8adr bn a7md bn ms6fy bn 3bd alr7ym bn m7md bdran ،almd5l ely mzhb al emam a7md bn 7nbl ،m2ssa alrsala ،byrot ،1401h..
- 3bd allh bn 3bd alm7sn bn 3bd alr7mn altrky ،almzhb al7nbly drasa fy tary5hwsmath ،m2ssa alrsala ،2002m.
- 3ly bn m7md bn m7md bn alathyr algzry 3z aldyn abo al7sn ،alkaml fy altary5 ،byt alafkar aldolya ،2009m.
- ft7y 3thman ،alfkr al8anony al eslamy ،mktbawhba ،msr ، 1995m.
- m7md ebrahym m7md al7fnaoy ،al emam alshaf3y asolya ،mgla dar al efta2 almsrya ،dar al efta2 almsrya ، 2014m.
- m7md basha al5oarzmy ،5a6rat gmal aldyn alafghany ، alm6b3a al3lmya.
- m7md bn al7sn bn al3rby bn m7md al7goy alth3alby alg3fry alfasy ،alfkr alsamy fy tary5 alf8h al eslamy ،dar alktb al3lmya ،byrot ،lbnan ،1995m.
- m7md 3ly alsays ،tary5 alf8h al eslamy ،dar alktb al3lmya ، byrot ،lbnan ،2015m.
- almd5l llf8h al eslamy (tary5hwmsadrhwnzryath al3ama ، t/ m7md slam mdkor ،dar alktab al7dyth.
- mna3 bn 5lyl al86an ،tary5 altshry3 al eslamy ، mktbawhba ،2001m.